

(الْفَسَادُ.. صُورُهُ وَمَخَاطِرُهُ)

مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب:

حَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنِ بَغَاةِ الْفِتْنَةِ

وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

جَمْعٌ وَرَرِيْبٌ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فِضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الرَّسْلَانِ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَا بَعْدُ:

فَقَدْ أَمَرْنَا رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] - أَنْ نَحَافِظَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ بِبَقَاءِ الصَّلَاحِ فِيهَا، وَأَنْ نَمْنَعَ الْفَسَادَ عَنْهَا، وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

وَلَا تَتَمَادَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بِأَعْمَالِكُمُ الْإِجْرَامِيَّةِ الظَّالِمَةِ، وَمَنْعِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى الْمُسَافِرِينَ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

أَخْبَرَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ -: أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - جَعَلَ نَعِيمَ الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ تَكْبِيرًا عَنِ الْحَقِّ فِي الْأَرْضِ، وَتَجَبُّرًا عَنْهُ، وَلَا فُسَادًا، وَلَا ظُلْمَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعَمَلًا بِمَعَاصِي اللَّهِ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِبِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

نَمَازِجُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ

لَقَدْ سَأَقِ لَنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَمْثِلَةً وَنَمَازِجَ لِأَنَاسٍ خَالَفُوا مَنَهِجَ اللَّهِ، فَوَصَفَهُم بِالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ: فِرْعَوْنُ، يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْهُ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَكَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

وَيَقُولُ - تَعَالَى - فِي حَقِّ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَل رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

وَيَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي شَأْنِ الْيَهُودِ: ﴿ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ - وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

وَكَذَلِكَ وَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَعْضَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ بِالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْهَا: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢].

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ بُغَاةِ الْفِتْنَةِ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّهُ قَدْ أَوْلَى الْحَدِيثَ عَنِ بُغَاةِ الْفِتْنَةِ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ عِنَايَةً خَاصَّةً؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِ ضَلَالِهِمْ، وَإِظْهَارِ خَطَرِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَالْوَطَنِ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا ﷺ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ، وَيَحذَرُونَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وَقَدْ بَيَّنَّا لَنَا الْحَقَّ -سُبْحَانَهُ- صِفَاتِ الْمُفْسِدِينَ وَالْبُعَاةِ، وَمِنْهَا: الْكَذِبُ، وَالتَّوَلَّى، وَادِّعَاءُ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ؛ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿ البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.﴾

وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿ البقرة: ١١-١٢.﴾

مِنْ صُورِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا يَكُونُ بِعِضْيَانِ اللَّهِ فِيهَا، وَالسَّيْرِ وَرَاءَ الْأَهْوَاءِ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴿٧١﴾ [المؤمنون: ٧١].

وَقَدْ تَعَدَّدَتْ مَعَانِي وَصُورُ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جُمْلَةً مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ البقرة: ٢٦-٢٧.﴾

مِنْ أخطرِ صُورِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ صُورَةَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ كَثِيرَةٌ وَمُتَعَدِّدَةٌ، وَأَعْظَمُهَا وَأَخْطَرُهَا: الشَّرْكُ بِاللَّهِ ﷻ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ مَدَى قُبْحِ الشَّرْكِ، وَحَدَرَ مِنْ مَفَاسِدِهِ.

* فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ -تَعَالَى- أَكْبَرُ ذَنْبٍ عِصِيَّ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ خَالِدًا فِيهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ المائدة: ٧٢.﴾

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).
وَكَمَا قَالَ ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - أَيْضًا - (٢).

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْهَا، وَشَدَّدَ التَّكْبِيرَ عَلَىٰ فَاعِلِهَا بَعْدَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ: هُوَ قَتْلُ النَّفْسِ الْمُعْصُومَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ كَبِيرٌ، وَهُوَ أَمْرٌ جَلَلٌ، وَجَرِيمَةٌ مُنْكَرَةٌ شَنِيعَةٌ حَذَرَ مِنْهَا رَبُّنَا -تَعَالَى-، وَحَذَرَ مِنْهَا نَبِيُّنَا ﷺ (٣)، إِنَّ احْتِرَامَ دِمَاءِ النَّاسِ، وَاحْتِرَامَ أَمْوَالِهِمْ أَمْرٌ قَرَّرَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ، وَحُرْمَةُ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ شَرَائِعُ اللَّهِ كُلُّهَا، وَأَكْمَلَهَا شَرِيعَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَعْظِيمُ أَمْرِ الْقَتْلِ، وَبَيَانُ خَطَرِهِ فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَحَدِ ابْنَيْ آدَمَ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[المائدة: ٣٠].

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١١١ / ٣، رقم (١٢٣٨)، ومسلم في «الصحیح»: ١ / ٩٤، رقم (٩٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي رواية للبخاري: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءَ دَخَلَ النَّارَ»،...، والحديث بنحوه عند مسلم أيضا من رواية جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١٧٩ / ٦، رقم (٣٠٦٢)، ومسلم في «الصحیح»: ١ / ١٠٥، رقم (١١١)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث في «الصحیحين» -أيضا- من رواية ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) من خطبة: «التحذير من قتل النفس المعصومة والإفساد في الأرض».

وَقَالَ ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ - أَي: نَصِيبٌ - مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» (١).

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: نَشْرُ الْبِدْعَةِ

مِنْ الصُّورِ الْخَطِيرَةِ لِلْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْإِبْتِدَاعُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَشْرُ الْبِدْعِ؛ فَالْبِدْعُ كُلُّهَا ضَلَالَاتٌ وَزَيِّغٌ، وَالشُّؤْمُ لِأَحَقِّ الْمُبْتَدِعِ حَالًا وَمَالًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيمَا أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ (٢)؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

يَعْنِي: مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ دِينِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مَرْدُودٌ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

إِنَّ نَشْرَ الْبِدْعِ، وَتَوْقِيرَ الْمُبْتَدِعِينَ إِعَانَةٌ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الْمَدِينَةَ -زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا- قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٣).

وَمِنْ وُجُوهِ إِفْسَادِ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ: أَنَّهُ يُفَرِّقُ الْأُمَّةَ، وَيُمَزِّقُ وَحَدَّتْهَا.

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: ازْتِكَابُ الْمَعَاصِي

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى تُزِيلُ النَّعْمَ، وَتُحِلُّ النَّقْمَ، وَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٣٣٣٥) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ١٦٧٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٢٦٩٧)، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (رَقْم ١٧١٨ / ١٧).

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦٣٧٤)، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١٣٧٠).

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»^(١) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ». وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، وَفِي «السُّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَفِي غَيْرِهِمَا.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وَقَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ سَبَبًا لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ، وَحُلُولِ عِقَابِهِ عَلَى الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: نَشْرُ الْمُتَكَرَّاتِ وَالْفَوَاحِشِ

إِنَّ مِنْ أَشْنَعِ صُورِ الْفَسَادِ: نَشْرُ الْمُتَكَرَّاتِ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا، وَنَشْرَ الْفَاحِشَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَحْبِيْبَهُمْ لَهَا، وَتَذْلِيلَ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي تَوَاجَهَهَا، وَاللَّهُ عَلَّمَ نَهَى عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: السَّحْرُ

إِنَّ تَعَاطِيَّ السَّحْرِ وَإِتْيَانَ السَّحْرَةِ مِنْ أَشْنَعِ صُورِ الْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ، وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ عَلَّمَ فَاعِلَهُ مُفْسِدًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

(١) «سنن أبي داود» (رقم ٣٤٦٢)، وصححه بمجموع طرقه الألباني في «الصحيححة» (١/ رقم ١١)، وفي «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٣٦٥).

وَكَمَا نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ السَّحْرِ فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنَ السَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ؛ فَقَالَ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ».

قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟».

قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ: «وَإِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَرَمْيُ الْمُحْصَنَةِ، وَتَعَلُّمُ السَّحْرِ»^(٢). أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

وَيَحْمِي الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ مِنْ أَعْمَالِ السَّحْرِ وَالْمَسِّ وَالْحَسَدِ: بِالْأَخْذِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَإِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ

إِنَّ مِنْ صُورِ الْفَسَادِ الْخَطِيرَةِ عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ: قَطْعَ الرَّحِمِ، وَإِفْسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ بَيَّنَّ فِيمَا أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ أَرْحَامَهُمْ وَيَهْجُرُونَ إِخْوَانَهُمْ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَيْحُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، هَؤُلَاءِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَصَمَّهُمْ، وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ٢٢ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الوصايا: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا﴾،

(٢٧٦٦)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها، (٨٩)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٩)، والحاكم في «المستدرک» (١/٥٥٢)، وهو حديث طويل، وقد صحح

العلامة الألباني هذا القدر منه لغيره في «صحيح الترغيب» (٣/٣٨٧، رقم ٣٥٤١).

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْإِرْهَابُ زَعَزَعَةَ الْأَمْنِ وَإِشَاعَةُ الْفَوْضَى

إِنَّ إِشَاعَةَ الْفَوْضَى، وَبَثَّ الْأَرَاجِيفِ، وَالْإِرْهَابِ، وَكُلَّ مَا يَتَسَبَّبُ فِي زَعَزَعَةِ أَمْنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَعْظَمِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.. إِنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ: أَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَمْنِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى الْفَوْضَى وَالْإِضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ؛ فَالْأَمْنُ فِي الْوَطَنِ مِنْ أَعْظَمِ مَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْإِنْسَانِ، قَدْ بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَبَيْنَهُ لَنَا نَبِيْنَا الْكَرِيمُ ﷺ

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ: الْإِرْجَافُ، وَ«قَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَهْلَ الشَّرِّ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لِيَن لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٦٠] أَي: مَرَضٌ شَكٌّ أَوْ شَهْوَةٌ.

إِنَّ الْأَرَاجِيفَ وَالشَّائِعَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ مَصَادِرِ شَتَّى وَمَنَافِدَ مُتَعَدِّدَةٍ إِنَّمَا تَسْتَهْدَفُ التَّالْفَ وَالتَّكَاتِفَ، وَتَسْعَى إِلَى إِثَارَةِ النَّعْرَاتِ وَالْأَحْقَادِ، وَنَشْرِ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ، وَتَرْوِجِ السَّلْبِيَّاتِ، وَتَضْخِيمِ الْأَخْطَاءِ.

الإِشَاعَاتُ وَالْأَرَاجِيفُ سِلَاحٌ بِيَدِ الْمُغْرَضِينَ وَأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْدَاءِ وَالْعُمَّالَاءِ، يَسْلُكُهُ أَصْحَابُهُ؛ لِرِزْزَعَةِ الثَّوَابِ، وَهَزِّ الصُّفُوفِ وَخَلْخَلَةِ تَمَاسِكِهَا. وَالْمُرْجِفُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الشَّائِعَاتِ الْكَاذِبَةَ.

إِنَّ مِنْ أَشْنَعِ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: تَرْوِجِ الْأَمِينِ، وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

مِنْ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: التَّخْرِيبُ، وَالتَّحْرِيقُ، وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ، وَالْإِعْتِدَاءُ عَلَى الْمُمْتَلِكَاتِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، يَقُومُ بِهِ مَنْ يَقُومُ مِنَ الْمُتَمِيمِينَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ مِنَ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ مِنَ الْقُطْبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ الْمُحَارِبِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ السَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ الْبَاغِينَ لِهَذَا الْوَطَنِ الصَّيَّاعِ وَالسُّقُوطِ فِي هَاوِيَةٍ لَا قَرَارَ لَهَا!!

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْخُرُوجُ عَلَى الْحُكَّامِ

إِنَّ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ وَالْفَوْضَى: الْخُرُوجُ عَلَى الْحُكَّامِ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ الْقَاعِدَةَ الَّتِي إِذَا مَا أَخَذَ بِهَا الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ، عَاشَ فِي تَوَاقُفٍ وَسَلَامٍ، وَبَعْدَ عَنْهُ شَبَحَ الْفَوْضَى وَالْإِنْفِسَامَ، وَمَتَى مَا خُولِفَتِ الْقَاعِدَةُ، دَبَّتِ الْفَوْضَى فِي أَرْجَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَانْتَهَكَتِ الْأَعْرَاضَ، وَسُلِبَتِ الْأَمْوَالُ، وَأُزْهِقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَقَطَّعَتِ الطَّرِيقَ، فَلَا جُمُعَةَ وَلَا جَمَاعَةَ؛ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْفَوْضَى الَّتِي تَعُمُّ الدِّيَارَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، -عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ- وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسَهُ زَيْبَةً»^(١).

فَأَمَرَ بِطَاعَةِ وُلاةِ الْأُمُورِ مِمَّنْ وَلاَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَوْ كَانَ مُتَغَلِّبًا، وَلَكِنْ طَاعَتُهُ فِي الْمَعْرُوفِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(٢).

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: اعْتِدَاءُ الْجُهَالِ عَلَى ثَوَابِتِ الدِّينِ

إِنَّ مِنْ أَجَلَى صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: التَّعَدِّي عَلَى ثَوَابِتِ الدِّينِ، وَالتَّهْجُمُ عَلَى أَصُولِهِ بِاسْمِ حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ وَالتَّعْبِيرِ..

إِنَّ فَمَعَ الْكُفْرِ -وَلَوْ تَظَاهَرَ الْإِنْسَانُ بِالْإِسْلَامِ- مِنْ وَاجِبَاتِ الْإِمَامِ، وَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ نَظْرَاءً يَنْظُرُونَ فِي كُلِّ مَا يُكْتَبُ فِي الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَكُلِّ مَا يُنْشَرُ فِي الْإِذَاعَاتِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْمَرْئِيَّةِ، وَكُلِّ مَا يُذَكَّرُ فِي الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ الْمُؤَلَّفَةِ، فَيَجْعَلُ أَمْنَاءَ عُلَمَاءَ يُؤَلِّمُهُمُ الْحَقَّ فِي

(١) أخرج البخاري (٦٩٣، ٦٩٦، و٧١٤٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَيْبَةً».

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، و٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث: عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَلُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

النَّظَرِ فِي كُلِّ مَا يُشْرَفُ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَيَمْنَعُونَ كُلَّ شَيْءٍ يَدْعُو إِلَى الْفُسُوقِ وَالْمُجُونِ وَالْكَفْرِ، وَهَذَا يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ».

قَالُوا: «وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟».

قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَالبَزَّارُ، وَالحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

مِنْ صُورِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْإِتِّجَارُ فِي الْمَخْدَرَاتِ وَالْإِدْمَانِ

عِبَادَ اللَّهِ! يَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَفِي الْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ -تَعَالَى- وَلِرَسُولِهِ ﷺ؛ الْإِتِّجَارُ فِي الْمَخْدَرَاتِ وَالْمُفْتَرَاتِ، وَكُلُّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعَيِّبَ الْوَعْيَ أَوْ يُذْهِبَهُ، أَوْ يُضْعِفَ الْعَقْلَ أَوْ يَحْجِبَهُ، بَلْ يَدْخُلُ الْمُتَعَاظِي لِلْمَخْدَرَاتِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِهَا وَبِأَيِّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِهَا فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَالْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَيَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُهُ؛ إِذْ يُضَيِّعُ الْمُدْمِنُ نَفْسَهُ وَيُضَيِّعُ مَنْ يَعُولُ، بَلْ يُضَيِّعُ حَقَّ دِينِهِ، وَحَقَّ وَطَنِهِ، وَيُهْدِرُ طَاقَاتِهِ، وَيَبْدُدُ ثَرَوَاتِهِ، وَيَفْرَطُ فِي عِرْضِهِ وَشَرَفِهِ، وَيَظْلِمُ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا يَفْعَلُ وَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ!!

فَمِنْ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ الْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ تَضْيِيعُ شَبَابِ الْأُمَّةِ وَشِيْبِهَا، وَإِهْدَارُ ثَرَوَاتِهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا، وَتَضْيِيعُ الدَّرِيَّةِ وَالْأَهْلِ، وَالتَّفْرِيطُ فِي حَقِّ الدِّينِ، وَحَقِّ الْوَطَنِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ: (٢/١٣٣٩، رَقْمُ ٤٠٣٦)، وَأَحْمَدُ: (٢/٢٩١ و ٣٣٨)، وَالحَاكِمُ: (٤/٤٦٥ و ٥١٢، رَقْمُ ٨٤٣٩ و ٨٥٦٤).

وَفِي رِوَايَةٍ -عِنْدَ أَحْمَدَ وَالحَاكِمَ (٨٥٦٤)-: «السَّفِيهَ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

قَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٤/٥٠٨، رَقْمُ ١٨٨٧).

عَوَاقِبُ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ

إِنَّ اسْتِنْفَالَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْعَالَمِ يُؤَدِّي إِلَى مُسَاوِيٍّ وَأَنَارٍ سَلْبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسْكَتَهُمْ لَمَّ تَسْكَنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

إِنَّ الْمَعَاصِي تَمَحُّقُ بَرَكَاتِ الْعُمُرِ، وَبَرَكَاتِ الرَّزْقِ، وَبَرَكَاتِ الْعِلْمِ، وَبَرَكَاتِ الْعَمَلِ، وَبَرَكَاتِ الطَّاعَةِ. وَبِالْجُمْلَةِ تَمَحُّقُ بَرَكَاتِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا تَجِدُ أَقْلَ بَرَكَاتٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا مُحِقَّتِ الْبَرَكَاتُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْقًا ﴿١٦﴾ لَنَفْسِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧].
وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَحْرَمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَمَّا كَانَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجَرَائِمِ الْعَظِيمَةِ؛ ذَمَّ اللَّهُ الْمُفْسِدِينَ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبئْسَ الْمُهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبئْسَ الْمُهَادُ﴾؛ أَي: هِيَ كَافِيَتُهُ عُقُوبَةٌ فِي ذَلِكَ.

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمَكْدِبِينَ لِلرُّسُلِ بِمُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ لَا أُولِيكَ لَهُمْ الْعُقُوبَةُ وَهُمْ سَاءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ -تعالى- عَنِ عَدَمِ مَحَبَّتِهِ لِلْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ، وَعَدَمِ رِضَاهُ عَنْهُمْ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؛ أَي: لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَلَا مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ ذَلِكَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَأَخْبَرَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ مَنْ سَعَى فِي أَرْضِ اللَّهِ بِمَا يَكْرَهُهُ، وَعَمِلَ فِيهَا بِمَعَاصِيهِ^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وَأَمَّا عُقُوبَاتُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

سُبُلُ مُحَارَبَةِ الْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ

إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ حَارَبَ الْفَسَادَ مُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، بَدَأَ مِنْ فَسَادِ الْعَقِيدَةِ؛ فَقَدْ جَاءَ لِيَحْرَرَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَجَاءَ لِيَقْضِيَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالْعَصَبِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَنْشُرَ بَدَلًا مِنْهَا الْأَخْلَاقَ الْقَوِيمَةَ الْحَمِيدَةَ، جَاءَ لِيَقْضِيَ عَلَى كُلِّ مَظَاهِرِ الْفَسَادِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيُوصَلَ بَدَلًا مِنْهَا كُلِّ مَا هُوَ حَسَنٌ، وَكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْهَضَ بِالْأُمَّةِ، وَيَجْعَلَهَا رَائِدَةَ الْعَالَمِ كُلِّهِ^(٢).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ وَاجِبَنَا تَجَاهَ مَا يَخْصُلُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ أَنْ نُصَلِّحَهُ بِقَدْرِ مَا نَسْتَطِيعُ، وَذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ، وَمُجَاهَدَةِ الْأَنْفُسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَبِذَلِكَ يَكْثُرُ الْخَيْرُ وَيَعْظُمُ، وَيَقِلُّ الشَّرُّ وَيَصْغُرُ -بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا-، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦-١١٧].

(١) «تفسير الطبري» (١٥/١٦٢).

(٢) مختصر من مقال: «خطر الفساد على البلاد».

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ؛ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

إِنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ بِمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ نَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَنَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فَلَا يَتَحَقَّقُ الصَّلَاحُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَنْتَفِي الْفَسَادُ مِنْهَا إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ فِيهَا، الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلْقَ، فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى مِنَ الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا هُوَ: تَحْقِيقُ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فِيهِ تَتَحَقَّقُ الْمَصْلَحَةُ، وَبِهِ تَنْتَفِي الْمَفْسَدَةُ.

لَا يَجْمَعُ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُوحِّدُ صُفُوفَهُمْ، وَلَا يُعْلِي شَأْنَهُمْ إِلَّا اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ. وَلَا يَسْتَتِبُ الْأَمْنُ، وَلَا يَحُلُّ الْإِسْتِقْرَارُ إِلَّا إِذَا اسْتَقَرَّ التَّوْحِيدُ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فَلَا يَسْتَتِبُ الْأَمْنُ، وَلَا يَحْصُلُ الْإِسْتِقْرَارُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَنَفْيِ الشِّرْكِ.

وَهَذِهِ الْمَطَالِبُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ مِنَ الْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ لِلدِّينِ، وَالإِتْيَانِ بِالْأَمْنِ، كُلُّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

فَلَا تَجْتَمِعُ كَلِمَةُ الْأُمَّةِ، وَلَا يَصِحُّ بِنَاوُهَا إِلَّا عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَإِلَّا عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الصَّحِيحَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

